في تأديبهم تعالى لهم فلا يتركك عصمة الله من التصدق والصلاح وكونهم كانوا يعدون
وسنه حمل حلف الوعد على النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد ألم يعلموا بالتاء على خطاب
ما أسروه من النفاق والعزم على الحلف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعنة
ما سروه من النفاق والعزم على الحلف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعنة
وتدبير منعها ألف بالزنى محله الفضاء والرفع الذم ويجوز أن يكون محله الجر بدلا من الضمير في وصمهم وخواهم
وقرئ بطرون الهم المغوفين المتطوعين الذين يعطون ما تطوعوا به من غير حاجة إليه ولا مزية
يخوف ما بين ثلثين ومائة من ذكب وقيل أربعة آلاف فأقمت رأسي وقمت واسكت
أربعة آلاف فقال رجل من الأنصار يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى متى أسكت فأمر بلالا
عوالي المدينة على ثمانية أميال وقيل على أربعة وهي بأيدي بني فزارة وغطفان أو هوازن فصاح بأعلى
أحد الجبلين على ما عين فتركت صائغا لعيالي وبحت صائح فأموا رسول الله عليه السلام أن ينزع عما أصابوا
فلزمهم المنافقون وقالوا ما أعطى هذا الرجل ما أعطاه إلا رياء وأن كان ما أمر رسوله لتعيير من صاح أو عيال ولكنه
أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقات فنزلت إنما الصدقات بيان المصارف التي تستحق بالصدقات
الفقراء والمساكين وهم الذين لا شيء لهم أو لهم أدنى شيء لا يقع موقعا من كفايتهم وقيل الفقير
من به زمانة والمسكين من به بلغة وقيل عكسه والعاملين عليها السعاة والجباة والكتبة والقسامون
والمؤلفة قلوبهم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم ليتمكن الإيمان من قلوبهم
وفي الرقاب المكاتبون يعانون من الصدقات وفي الغارمين الذين ركبتهم الديون في غير معصية
وفي سبيل الله الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان وقيل الحاج المنقطع به وابن السبيل المسافر
الذي انقطعت به الطريق فرضا من الله بيان لمصارف الصدقات وقرئ فريضة من الله بالنصب على المصدر
لأن الإيتاء بمعنى الفرض والله عليم بمصالح عباده حكيم في أفعاله ومنهم الذين يؤذون النبي
بالوقيعة فيه ومنهم نبتل بن الحارث وجلاس بن سويد ومعتب بن قشير ورهط من المنافقين
قالوا بلغنا أن محمدا أذن أذن يعنون قوله عليه السلام لعمر أذن في الناس بالحج وقيل قاله
رجل من المنافقين عند جماعة فنقل إليه فقال ائتوني بالرجل فلما سألوه جحد فأنزل الله
يحلفون بالله لكم ليرضوكم خطاب للمؤمنين والضمير للمنافقين والواو لتغليب الحاضرين
على الغائب والله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين فإن رضا المؤمن لا يكون إلا عند
رضا الله ورسوله ألم يعلموا ألم يعلم المنافقون أنه من يحادد الله ورسوله أي يعاد
ويشاق فإن المحادة والمشاقة لا يكونان إلا بالعداوة فأن له نار جهنم خالدا فيها
خبر مبتدأ محذوف أي فحق أن له نار جهنم أو مبتدأ خبره محذوف أي فأن له نار جهنم
جزاؤه خالدا فيها حال مقدرة ذلك الخزي الفظيع الخزي الفضيحة يحذرون المنافقون
أن تنزل على المؤمنين سورة تفضحهم بما في قلوبهم قل استهزءوا أمر تهديد إن الله مخرج
ما تحذرون من إظهار مساويكم قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجل يسير مع النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه في غزوة تبوك فقال ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء
يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء فقال عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه
فجاء ذلك الرجل فقال يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب لنقطع بذلك عنا الطريق فقال ابن عمر
كأني أنظر إليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله
إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم بقولكم الذي قلتموه إن نعف عن طائفة منكم بتوبتهم
وإخلاصهم نعذب طائفة بإصرارهم على النفاق بأنهم كانوا مجرمين مصرين على الكفر والنفاق
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أي هم متشابهون في النفاق كأنهم نفس واحدة
أو هم أولياء بعض في الشر كما أن المؤمنين أولياء بعض في الخير يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن الخير نسوا الله ترك أوامره ونواهيه
فنسيهم فتركهم من ألطافه ومواعيده المنافقين هم الفاسقون الكاملون في الفسق
حيث لا يبالون بما يأتون وما يذرون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم كافيتهم في العذاب ولعنهم الله وأبعدهم عن رحمته ولهم عذاب مقيم
دائم كالذين من صفتهم كصفة الذين من قبلكم خطاب للمنافقين وقيل للمؤمنين
كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم بحظوظهم من الدنيا
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم في الباطل
كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا والآخرة
وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات قرى قوم لوط أتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
بتعريضها للعذاب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله بالثواب والإنجاء من العقاب
إن الله عزيز لا يغالب حكيم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ومساكن طيبة في جنات عدن هي أعلى الجنة وأفضلها وأصل العدن الإقامة
ورضوان من الله أكبر أي أكبر من ذلك كله لأنه رأس السعادة وكمال البهجة
يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة والزجر
واغلظ عليهم في الجهاد ومأواهم جهنم وبئس المصير هي
يحلفون بالله ما قالوا كلمة الكفر وقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم
وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من تبوك
وكان المنافقون اثني عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا عزموا على قتله عليه السلام
حين رجع من العقبة وقد أخذ عمار بن ياسر بزمام الناقة وحذيفة يسوقها فبينما هما
يسيران إذ سمع حذيفة وقع حديد وراء الصخر فالتفت فإذا القوم متلثمون قد غشوا عمارا
وهو آخذ بزمام الناقة فأقبل عمار يضرب وجوه الناقة فلما سمع حذيفة صوت القوم
ورأى حديد أصحابه ومعه مغفر ضرب وجوه رواحلهم بالمحجن فنفرت وأخذ عمار بزمام الناقة
يقودها حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما هبط عليه السلام أخبره حذيفة بأسماء القوم
وما كادوا به فأمر عمارا أن يسلك الوادي وأمر حذيفة أن يسلك الجادة فأسرعا حتى استويا
بالأرض ثم أمرهما أن يرجعا فرأى حذيفة رواحلهم فعرفها فقال هؤلاء أعداء الله فيما بقي
الليل وما نالوا ما أرادوا وما عزموا عليه من الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله بالغنائم بعد الفقر والقلة
فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاب الدارين
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله من مزيد على ما نحن فيه
لنصدقن ولنكونن من الصالحين بالزكاة وصلة الرحم
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا عن الطاعة وهم معرضون
فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه إلى يوم الموت أو إلى يوم القيامة
بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بالتشديد ألم يعلموا بالتاء على الخطاب
أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون يعيبون
المطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات والجهاد
والذين لا يجدون إلا جهدهم إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل الذي يقدرون عليه
فيسخرون منهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم ولهم عذاب أليم
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن شئت فإن استغفرت لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
فرح المخلفون بمقعدهم خلافك جمع خالف أي خلفوك وقعدوا بعدك
أو مخالفين رسول الله من خلف إذا فعل بعده أو بمخالفته كراهة أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون
فليضحكوا قليلا فسيضحكون قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم واستأذنوك في الخروج إلى غزوة أخرى
فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة
فاقعدوا مع الخالفين من النساء والصبيان أو المتخلفين عن الغزو لعذر
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره للدعاء له أو للزيارة
إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فلا تعجبك أموالهم وأولادهم
إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب فيها وتزهق أنفسهم
وتخرج أرواحهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول الغنى والسعة منهم وقالوا ذرنا
نكن مع القاعدين مع الذين لا عذر لهم من النساء والصبيان والزمنى
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف جمع خالفة وهي المرأة التي لا تخرج من بيتها
أو الرذالة من الرجال والنساء لأنهم خلفوا النساء والصبيان في البيوت
وطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات في الدنيا والآخرة
وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الأعراب
المعذرون المعتذرون بعذر صحيح أو بغير عذر وقرئ المعذرون من أعذر
في الأمر إذا قصر فيه وهو ضد أحسن فيه وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
بالإيمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم
ليس على الضعفاء الزمنى والمرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
ما يتبرعون به حرج إثم إذا نصحوا لله ورسوله في الغيب والشهادة
بالقلب واللسان وأطاعوا الله ورسوله في السر والعلانية
ما على المحسنين من سبيل من طريق بالعقوبة والله غفور رحيم
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه
تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون
إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم
قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم
ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
سيحلفون بالله لكم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس
ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا
وأجدر أحق وأخلق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله
والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق
ما يتصدق به مغرما غرامة وخسرانا ويتربص بكم الدوائر صروف الزمان
عليكم دائرة السوء الهزيمة والبلية والله سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم
ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله وصلوات الرسول دعواته لها وأنها لهم قربة لهم
سيدخلهم الله في رحمته في جنته إن الله غفور رحيم
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين سبقوا إلى الإيمان
والذين اتبعوهم بإحسان في الإيمان والطاعة رضي الله عنهم ورضوا عنه
وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا تمرنوا
على النفاق عتوا تجردوا له لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين
مرة بالفضيحة ومرة بعذاب القبر وقيل بالقتل والسبي وعذاب القبر
ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا وهو الجهاد وآخر سيئا وهو التخلف عن الغزو
عسى الله أن يتوب عليهم إن تابوا وندموا على التخلف وعزموا أن لا يعودوا
خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها من الذنوب وتزكيهم بها عند الله
وصل عليهم إن صلاتك تسكن لهم وتطمئن إليها نفوسهم والله سميع لدعائك
عليم بما في ضمائرهم ألم يعلموا ألم يعلم المتخلفون أن الله هو يقبل التوبة
عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم بقبول التوبة
وقل اعملوا ما شئتم من خير وشر فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
وآخرون مرجون مؤخرون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم
والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
مضارة للمسجد الأول وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين
وإرصادا استعدادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وهم أبو عامر الراهب
ومن تابعه من أهل النفاق بنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا نبني مسجدا
لفقراء قومنا في الليلة الشاتية وذي العلة ونحن نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه
وأرادوا أن يتحول إليه ويصلي فيه فأتاهم فقالوا له ذلك وهو على جناح السفر
فقال إنا على سفر ولو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه فلما رجع من تبوك
نزل إليه الوحي بخبرهم وأمره بهدمه وتحريقه لا تقم فيه أبدا لمسجد
أسس بنيانه على التقوى من أول يوم لمسجد قباء أحق أن تقوم فيه
فيه رجال يحبون أن يتطهروا بالماء من الغائط والبول والله يحب المطهرين
أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه
على شفا جرف هار على طرف جرف هار وهو ما تحفر السيول من أسفله
حتى يبقى واهيا فانهار سقط به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين
لا يزال بنيانهم الذي بنوه ريبة شكا ونفاقا في قلوبهم في قلوب بانيه
إلا أن تقطع قلوبهم بالموت أو بالحريق أو بتمزيقها بالسيف
والله عليم بأحوالهم حكيم فيما يفعل بهم إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم
التائبون العابدون الحامدون السائحون الصائمون أو المهاجرون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين بهذه الخصال ما كان للنبي وما صح له
وما استقام أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه كثير التأوه
من خوف العذاب حليم صبور على الأذى وما كان الله ليضل قوما
بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجتنبون من الأعمال
ولكون إلى آخره معنى الشرط وذكرنا الكلام في ما بعد إلا الاستثناء في
إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي بالإذن في الانصراف
والمهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة والأنصار الذين آووه ونصروه
في ساعة العسرة في وقت العسرة وهي غزوة تبوك كاد يزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الدين أو عن متابعة الرسول في الانصراف من غير غزو
لما لحقهم من الجهد والمشقة ثم تاب عليهم ليتوب عليهم ما سبق من زيغ بعضهم
إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة
حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت بسعتها لما هجروا ولم يكلمهم أحد
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب
الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله
في غزوة تبوك ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه أن يكابدوا ما كابد
ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ عطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة
في سبيل الله ولا يطئون موطئا يدوسون ويقطعون مكانا من الكفار
يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا قتلا أو أسرا أو هزيمة
إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا في الذهاب
إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون
وما كان المؤمنون لينفروا إلى الغزو جميعا كافة
فلولا نفر من كل فرقة جماعة كثيرة منهم طائفة قليلة
ليتفقه الذين قعدوا مع النساء والصبيان
ولينذروا قومهم المتخلفين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
شدة وقسوة واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والمعونة
وإذا ما أنزلت سورة منهم من المنافقين فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا
تصديقا ويقينا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا تصديقا ويقينا
وهم يستبشرون بنزول القرآن وأما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون
يبتلون بالقحط والأمراض في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
ولا هم يذكرون يتعظون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض
هل يراكم من أحد من المؤمنين إذا قاموا من المجلس استهزاء
ثم انصرفوا انصرف عن الاستماع والاتعاظ صرف الله قلوبهم
عن الإيمان بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون
لقد جاءكم رسول من أنفسكم من جنسكم عربي مثلكم
تعرفون نسبه وصدقه وأمانته وكمال حاله
عزيز عليه ما عنتكم شاق عليه ما يلحقكم من مكروه
حريص على إيمانكم وصلاحكم بالمؤمنين رؤوف رحيم
فإن تولوا فقل حسبي الله كافيني أمر دنياي وديني
لا إله إلا هو عليه توكلت وثقت به في أموري
وهو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات

Copyright © University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)